فريق التفريغ بموقع الطريق إلى الله
يـــقـــدم
من سلسلة "شرح الأربعين النووية"
الحديث الحادي والأربعون
لفضيلة الشيخ: هاني حلمي
رابـط الـمـادة: http://www.way2allah.com/khotab-item-70862.htm

الحديث الحادي والأربعون: علامة الإيمان

عن ابن محمد بن عبد الله بن عمر بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم– "لا يؤمنُ أحدُكم حتَّى يَكونَ هواهُ تبعًا لما جئتُ بِهِ" هذا الحديث فيه مقال لكن صححه الإمام النووي هنا وقال رويناه في كتاب الحجة، ما كتاب الحجة؟

كتاب في عقيدة أهل السنة يتضمن ذكر أصول الدين على قواعد أهل الحديث، واسمه كتاب الحجة على تاركي سلوك المحجة، يقول ابن حجر: هو كتاب جد نافع، مؤلفه أبو الفتح نصر بن إبراهيم المقدسي، قال رويناه في كتاب الحجة بإسناد صحيح فصحَّح إسناده الإمام النووي ولكن بعض أهل العلم تكلم في إسناده، نأخذ بتصحيح الإمام النووي في هذا الحديث وننظر في دروسه وعبره.

معاني مفردات الحديث:

"لا يؤمن" ذكرت من قبل هذه الكلمة وأعيدها: النفي يأتي في الشرع وفي اللغة على ثلاثة معاني: نفي وجود، نفي كمال، ونفي صحة، هنا "لا يؤمنُ أحدُكم حتَّى يَكونَ هواهُ تبعًا لما جئتُ بِهِ"، هذا نفي كمال: هنا لا يكمل إيمانه حتى يكون كذلك، هل يمكن أن يكون نفي صحة؟ لا يصح إيمانه؛ لأن نفي الصحة يقتضي فساد إيمانه؛ حتى لا ندخل في دائرة أخرى؛ هو ينفع بتأويل أن تقول لا يصح؟ بمعنى ستجد نفسك دخلت في الكمال مرة أخرى، لا يصح ليست بمعنى أنه يكفر، لا يصح بمعنى أن إيمانه فاسد، إيمانه باطل "حتى يكون هواه تبعًا لما جئت به" حتى لا يكون فيها تأويل سنتركها نفي كمال فقط.

"هواه" هنا ما تحبه النفس وتميل إليه وترغب فيه، وعنوان وشعار دخول الجنة هو نهي النفس عن الهوى وصراعنا المرير مع النفس في قصة الهوى لأنه "أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ" الجاثية: ٢٣ فاتباع الهوى مشكلة والنبي – صلى الله عليه وسلم– يقول "ثلاثٌ مُهلِكاتٌ: شُحٌّ مُطاعٌ وهوًى مُتَّبعٌ وإعجابُ المرءِ بنفسهِ" حسنه الألباني
فهنا الهوى المتبع –مزاجي–! أنا لي رغبة أن أفعل الخير أو أفعل الشر؛ والمصيبة أن الهوى فيه خير وفيه شر وعندنا دليل في القرآن ربنا قال لسيدنا داود "وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللّه" ص: ٢٦
أنتم تظنون أن سيدنا داود كان يفعل معاصي – إنه معصوم – إذن ماذا كان يفعل؟ كان يغلق القصر يوم ليتعبد ويوم ينظر في أحوال الرعية. قال له هذا هوى "وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ" يعني ممكن يكون لي هوى في

الطاعة وممكن يكون لي هوى في المعصية، يعني تجد شاب الآن يقول المهم ابدأ بحفظ القرآن.. لا أنا أحب مصطلح الحديث؛ هذا هوى.. العلماء قالوا ابدأ بالقرآن، العقيدة، الفقه وبعد ذلك كذا –لكن أبدأ بالحديث وأبقى عامل فيها زي الشيخ أبو اسحاق، أبقى عامل فيها زي الشيخ الألباني وأبقى مش عارف إيه وأقول بقى صححه وضعفه وأرد على مش عارف إيه– هذا هوى.

الجهاد.. ممكن العبادة فيه يكون هوى، لما صنعت حتى يقال شجاع وكل هؤلاء جبناء؛ كل هؤلاء كذا؛ هؤلاء عُبَّاد المال؛ عبَّاد الدنيا؛ عبَّاد السلاطين وعبَّاد كذا؛ أنا المجاهد. هذه مصيبة.

ابن عباس يقول ما كنت أظن أن أحدًا من صحابة الرسول كذلك حتى نزلت آية "مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ" آل عمران:١٥٢ ممكن يكون عمل ظاهره ضخم والهوى يضيعه يجعله هوى، لذلك "حتى يكون هواه تبعًا" أن تكون رغبات النفس، مراضاة النفس هذه على مراد الله، بمعنى: كن لله كما يريد يكن لك فوق ما تريد، أن تكون على مراد الله منك لا على مرادك من نفسك؛ أنا أريد كذا، لا لا تقول ذلك، بل ماذا يريد الله؟ أنا على مراد الله لا على مرادي من نفسي.. حتى لا يكون هذا الهوى.

"لا يؤمنُ أحدُكم حتَّى يَكونَ هواهُ تبعًا لمَّا جئتُ بِهِ" أي للشريعة. لما ربنا يتكلم عن الشريعة تجد يقول للنبي –صلى الله عليه وسلم– إذا لم يسمعوا كلامك.. إذا لم يسيروا على منهجك "أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ" القصص:٥٠، أين القصة؟

القصة في رافضين الشريعة، الشريعة منهج الله مَن يرفضه يرفض.. لا، لا يمكن أن نزيل الخَمَّارات من البلد ولا أن نمنع كذا "أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ" هَواه هو الذي يقوده، هواه هو الذي يسيِّره؛ لذلك لا يستطيع أن يتقبل أي نظام آخر يقيِّد هواه.

ولو تريدون شرح الليبرالية بمنهج إيماني؛ الليبرالية كذلك، المشكلة التي بيننا وبينهم هي في ذلك، أنه يريد أن يتحرك بلا قيد، أو القيد الذي يضعه هو، يعني هو الذي يضع القانون، نحن نقول له: لا نحن ولا أنت، الدائرة التي جعلها الله سبحانه وتعالى لنا هي التي نتحرك داخلها، لا خارجها..

المشكلة بيننا وبينهم في قصة اتباع الهوى، ولو نحن نريد الشريعة هوى والله لن نصل، كما ذكرنا أن الجهاد ممكن أن يكون هوى، ممكن واحد يقول لك شرع ربنا وفداك أبي وأمي يا رسول الله والشعب يريد تطبيق شرع الله.. هوى، إرادة للتميز!.

القصة أننا متدينون وأن نبقى كذلك، لو هذا في قلوبنا يكون هوى ولو هوى والله لن نصل، إنما أنت والله لله، أنا لن ينوبني شيئًا منه، بل قد يُقيَّد عليه –أنا مثل غيري– أشياء فإن كله سيكون على هذا الميزان فإياك ولعبة الهوى "حتَّى يَكونَ هواهُ تبعًا لمَّا جئتُ بِهِ".

من فوائد الحديث: عظم وتكامل شريعتنا

عظم وتكامل شريعتنا لأنها تخاطبني كإنسان؛ كان عندنا محاضرة في المنيا في الجامعة؛ وكنت أريد أن أقول للشباب وأشرح لهم لماذا لا يجوز أن تكون هناك علاقات بين الولد والبنت وأريد أن أربط الموضوع بقصة تطبيق الشريعة؛ فقلت لهم: -خدوا هذه المعاني لنضيفها على هذا الحديث-؛ العلماء يقولون أن الإنسان له خمس احتياجات:

١- الاحتياجات الحيوية.

٢- الاحتياجات النفسية.

٣- الانتماء.

٤- حاجته للتقدير.

٥- حاجته لتحقيق الذات.

كلنا عندنا الخمسة أشياء ومشاكلنا كلها عندما يحدث خلل في واحدة من الخمسة، الشريعة، قلت لهم أنا أعشق الإسلام لأنه يعاملني كإنسان؛ وأثبتها لك، أي مشكلة من المشاكل التي لا تفهمها أنت والله العظيم آخرها أنه يحافظ عليك كإنسان فبدلاً من أن تسرف على نفسك في الشهوات المادية فتصبح مثل الحيوان؛ "أُوْلَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ" الأعراف:١٧٩ يقول لك خذ احتياجاتك بهذا الشكل فتكون إنسان.

ما هي الاحتياجات الحيوية؟ الأكل والشرب والملبس والزواج.

ما هي الاحتياجات النفسية؟ الأمان والطمأنينة والسكن.. عندما كنا في زمن الثورة وفي وقت من الأوقات كان ناس ليس لها علاقة بالسياسة يطلع فلان، يطلع علان يقول لك فقط الدنيا تهدأ، لماذا تهدأ؟ أريد أن أعيش في أمان، أريد استقرار لأن هذه رغبته كبشر بغض النظر أنا ليس لي في السياسة يطلعوا إخوان، يطلعوا ليبراليين، يطلعوا كذا؛ هناك مَن كان يقول هذا؛ لأن احتياجاته الإنسانية حاجته إلى الأمان لذلك قال الله تعالى "الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ" هذه حاجته الحيوية "وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ"قريش:٤ هذه حاجته النفسية.

لما قال الله أنه سيعذب أمة من الأمم قال "فَأَذَاقَهَا اللّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ" النحل: ١١٢ هكذا ما عادوا بشر؛ أصبح عندهم حالة ذعر.

أريد انتماء: لذلك ينتمي للنادي لأنه يحتاج أن ينتمي لشيء، لذلك ينتمي لحزب، لذلك ينتمي لرابطة، لذلك ينتمي لمجموعة من الناس، لذلك لديه -شلة على القهوة-، انتماء وفقط، فلما ينتمي لجماعة المؤمنين وليس لأحزاب ولا كذا.. جماعة الإسلام التي هي الصحبة والإخوة الإيمانية موجودين حوله فيكون الموضوع مختلف.

حاجته إلى التقدير: أقول لكم هذا المعنى لأنه لا يفهمه كثير من الناس، يقول لك أنا لو قلت لك: ما شاء الله ربنا يكرمك يا رب ويعزك وكذا، ما شاء الله لم تترك درس من الدروس، أنا واخد بالي وكذا كذا وأنت كذا وكذا.. فتجد مَن يقول لك لا تعامله هكذا حتى لا يغتر؛ ويرى نفسه!

والنبي –صلى الله عليه وسلم– الذي قال "أرحم أمتي بأمتي أبو بكر" صححه الألباني هل ستقول لي أبو بكر كان يعرف الدنيا والنبي لا يخايف على قلبه؟ والرجل من وفد عبد قيس الذي رآه النبي –صلى الله عليه وسلم– لأول مرة وقال له "إن فيك خصلتين يحبهما الله: الحلم والأناة" صحيح مسلم ما هذا إذن؟

هذا يتكلمون عنه في مهارات التواصل.. أنا أعرف أنك ما شاء الله متدين وتحب ربنا، فتعطيه كلمتين ثناء وليس إطراء؛ ليس مدح يوقعه في كذا؛ تقول له كلمتين حلوين؛ ما شاء الله عليك أنت حريص، زادك الله حرصًا.. كلمتين حلوين؛ فالإنسان يحتاج إلى تقدير، والله بتفرق معنا يعني واحد يرسل لي جزاك الله خيرًا ربنا يجعلك سبب كذا، فتشجعنا في الطريق لأنك طوال النهار والليل في مشاكل فلما يربت أحدٌ على كتفك: أكمل واثبت لا تخف.. فأنت تحتاج مؤيد، هذه حاجته إلى التقدير.

حاجته إلى تحقيق الذات: ماذا يكون حالك عندما يُقال عليك أنك لا شيء؟ لا، لا "وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ" آل عمران: ١٣٩ إذن ما هذا؟ الله يقول لنا أنتم أحسن شيء، أنتم كذا.. يحتاج يحقق ذاته في الله؛ فالمطلوب أن أعيش بشريَّتي. الإسلام هنا يضع هذه المعاني وهنا يكون خارج الهوى؛ هنا "حتى يكون هواه تبعًا لما جئت به" ما الذي جئت به يا رسول الله؟ الشريعة. ماذا تفعل الشريعة؟ تحافظ عليّ كبني آدم؟

قلت لهم حددوا لي أي مشكلة، أقسم لكم بالله، أي مشكلة –بيدندنوا عليها– وأنا أثبت لكم من خلال هذه النظرية أن الشريعة شريعة الإنسان وليست شريعة الحيوان ولا شريعة رجال الأعمال ولا شريعة كذا، حددوا لي أي مشكلة.. ما الذي يؤرقك؟ قصة المرأة في الإسلام؟ ما المشكلة؟ قل لي مشكلة من المشاكل؟ لماذا الشريعة لا تعجبك؟ الشريعة تقول أن المرأة مخلوق ضعيف يُرحم وعرض يُصان، لما تبحث في أي حكم من الأحكام، أي امرأة تقول لك لماذا عمل كذا كذا كذا؟ تجده يتكلم عن الفطرة أنكِ تُصاني، أنكِ يحافظ عليكِ، أنكِ كذا وكذا.. الشريعة تقول: المرأة لا تسافر إلا مع ذي محرم.. لماذا؟ حتى لا تكون عرضه لكذا وكذا وكذا، لو أمننا العلماء يقول لك ماشي؛ إن أمنت الطريق يبقى القصة كانت ليها لا تتولى هي بنفسها، لا تعرِّض هي نفسها، لا تكون سلعة مبتذلة، حتى تكوني أنتِ شيء يحافظ عليكِ كإنسان علي احتياجاتك فلكل واحد نظام ومن تحت رأس هذه الأمور تستطيع أن تشرح موضوع الشريعة كله الذي هو "حتى يكون تبعاً لما جئت به".

علاج اتباع الهوى:

لأن الحديث يتكلم عن الهوى.. فما هو علاج اتباع الهوى؟ قل لنفسك لا، في كلمة واحدة، كلما زادت اللاءات أمام هوى النفس زادت قيمتك عند الله، كلنا عندنا هوى فتجد واحد يستطيع أن يتغلب على هواه ويكابد هواه ويجاهد في الله نفسه، فربنا سبحانه وتعالى يجعله من المحسنين. وآخر تجده نص ونص؛ وآخر ربع وهكذا؛ فكلنا عندنا نسبة هوى.. التي هي مثلاً هواي أن أنام.. وما جاء به النبي –صلى الله عليه وسلم قم صلِّ، فمَن يغلب مَن؟

هذا هو، هواي أن أفطر.. وممكن الشيطان يوسوس لي: غدًا الجمعة والنبي لم يكن يصوم الجمعة؛ ويعني يوم جمعة –هيقعد بقه يجبهالك؛ والواحد بقاله أد كده ما صامش؛ يا عم طيب تاسوعة؟ نصوم عاشوراء وخلاص؛ هي كان فيها لازم كذا، هواي هكذا؛ هواي أن آكل وبعدين كنت معزوم عند مش عارف مين أضيع العزومة دي؟ هواي أن آكل، وما جاء به النبي –صلى الله عليه وسلم– صم تاسوعاء وعاشوراء؛ فتقول لنفسك لا.

هنا مَن الذي يجسد ذلك؟ عبد الله ابن رواحه؛ مَ يمسك الراية يموت؛ جعفر أمسك الراية مات، ومن قبله مَن؟ زيد وجعفر وهو عبد الله ابن رواحه، جعفر أمسكها وقتل؛ وزيد أمسكها وقتل وهو إذا أمسكها سيُتقتل، فنازعته نفسه، ماذا فعل؟ "أقسمتُ يا نفس لتنزلنَّ أو لتكرهنَّ إن أجلب الناس وشدوا الرنة ما لي أراكِ تكرهين الجنة".

التي هي لسحرة فرعون، لما تجد والله لأقتلنكم وأعمل لكم في الدنيا فيخافون فيقولون "لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ" طه: ٧٢. هذه هي، هذه هي مجاهدة النفس في الله "وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ" العنكبوت: ٦٩ هذا فقه مجاهدة النفس كعلاج لموضوع اتباع الهوى.

تم بحمد الله

شاهدوا الدرس للنشر على النت في قسم تفريغ الدروس في منتديات الطريق إلى الله تفضلوا هُنا:

http://forums.way2allah.com/forumdisplay.php?f=36